الفلسفة و العلوم في السياقات الإسلامية

القواعد العشر للكتابة في تاريخ الفلسفة

پيتر آدمسون
جامعة لودفيغ ماكسيميليان، ميونخ

ترجمة وتقديم **مريم السيد**
المعهد الفرنسي للشرق الأدنى (Ifpo) بعمّان

11 نوفمبر 2026
https://philosmus.org/archives/4638
الفلسفة و العلوم في السياقات الإسلامية
ISSN: 2737-842X
كل الحقوق محفوظة ©

All Ten Rules for Writing About the History of Philosophy

Al-qawāʿid al-ʿashr li-l-kitāba fī tārīkh al-falsafa

القواعد العشر للكتابة في تاريخ الفلسفة

Peter Adamson
Ludwig Maximilian University of Munich, Munich
پیتر آدمسون
جامعة لودفيغ ماكسيميليان، ميونخ

Translated and introduced by
Maryam Alsayyed
Institut français du Proche-Orient (Ifpo), Amman
ترجمة وتقديم مريم السيد
المعهد الفرنسي للشرق الأدنى (Ifpo) بعمّان

Abstract: In this short essay, conceived as a set of practical and methodological reflections rather than an original research article, Peter Adamson, Professor of the History of Philosophy at Ludwig Maximilian University of Munich and a specialist in Arabic and Islamic philosophy, offers ten guidelines for writing in the history of philosophy. Drawing on his experience teaching the subject and supervising research projects and doctoral dissertations, Adamson presents recommendations that, as he himself acknowledges, reflect his personal approach rather than a universally applicable set of rules. The essay addresses key aspects of historical and philosophical scholarship, from formulating research questions and constructing arguments to engaging with sources, organizing an essay, and revising a draft. Although primarily intended for students and researchers in the history of philosophy, these reflections may also be useful to scholars working with historical texts and intellectual traditions more broadly.

Key-words: History of philosophy; Academic writing; Philosophical methodology; Research questions; Argumentation; Textual interpretation.

ملخص: في هذه المقالة، التي لا تندرج في باب البحوث أو الدراسات بالمعنى الأكاديمي المتعارف عليه، يقدّم بيتر آدمسون، أستاذ تاريخ الفلسفة بجامعة لودفيغ ماكسيميليان في ميونخ، وأحد أبرز المتخصصين في الفلسفة العربية الإسلامية، عشر قواعد للكتابة الأكاديمية، استخلصها من خبرته الطويلة في تدريس تاريخ الفلسفة والإشراف على البحوث والأطروحات الجامعية. وهي توجيهات تنبع، كما يؤكد آدمسون نفسه، من تجربته الشخصية، غير أن المكانة العلمية لصاحبها وخبرته البحثية العميقة يضفيان عليها قيمة خاصة بالنسبة إلى المشتغلين بهذا الحقل. ولا تقتصر هذه القواعد على الجوانب العملية للكتابة الأكاديمية، بل تتناول أيضًا جملة من المسائل المنهجية المتصلة بدراسة النصوص الفلسفية في سياقاتها التاريخية، بدءًا من صياغة سؤال البحث وبناء الحجة، مرورًا بتوظيف المصادر وتنظيم المقالة، وانتهاءً بمراجعتها وتنقيحها. ومن ثمّ، فإن فائدتها لا تقتصر على طلبة الفلسفة وباحثيها، بل تمتد إلى كل من يشتغل بدراسة النصوص والتراث الفكري والتاريخي.

كلمات مفاتيح: تاريخ الفلسفة، الكتابة الأكاديمية، منهجية البحث الفلسفي، أسئلة البحث، الحجاج، تأويل النصوص

تقديم الترجمة

بيتر آدامسون هو باحث وفيلسوف معاصر، متخصص في تاريخ الفلسفة اليونانية القديمة والمتأخرة والفلسفة العربية الإسلامية. يشغل منصب أستاذ تاريخ الفلسفة في جامعة لودفيغ ماكسيميليان في ميونخ (LMU)، وله العديد من الدراسات والمؤلفات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وتأثرها بالتراث اليوناني، حيث تناولت أعماله فلاسفة أمثال الكندي (ت. 260هـ/873م)، وأبي بكر الرازي (ت. 313هـ/925م)، والفارابي (ت. 339هـ/ 950م)، وابن سينا (ت. 428هـ/1037م)، وابن رشد (ت. 595هـ/1198م)، وابن خلدون (ت. 808هـ/1406م) وغيرهم.

إلى جانب أعماله الاكاديمية والبحثيّة، أطلق بيتر آدمسون بودكاست في تاريخ الفلسفة بعنوان "A History of Philosophy Without Any Gaps" يستعرض فيه تاريخ الفلسفة وتطورها عبر مراحل وتقاليد مختلفة. وقد صدرت حلقات هذا المشروع في مؤلفات تُعدّ مراجع تمهيدية للتعريف بتاريخ الفلسفة، بما في ذلك الفلسفة في العالم الإسلامي.[1] ويتضمن هذا المشروع، مدونة (Blog posts) ينشر فيها آدمسون العديد من أفكاره ومخططاته وقراءاته المتعلقة بتاريخ الفلسفة، ويتيح من خلالها مساحة للتفاعل والنقاش مع القرّاء والمهتمين بشكل مباشر. ومن بين هذه التدوينات، وضع خلاصة تجربته في الكتابة في تاريخ الفلسفة على شكل قواعد ومقترحات وتوجيهات يمكن أن يستفيد منها الطلبة والباحثون والمشتغلون في هذا المجال. تكتسب هذه المادة أهمية خاصة من كونها لا تقتصر فقط على تقديم إرشادات عمليّة في الكتابة العلميّة، وإنما تُقدِم إرشادات منهجيّة تتعلق بكيفية التعامل مع مادة تاريخ الفلسفة والكتابة العلميّة فيها بشكل خاص.

ومن هنا، أقدّم فيما يلي ترجمة عربية لهذا القواعد، التي تحمل عنوان "All Ten Rules for Writing About the History of Philosophy" وقد نشرت بتاريخ 12 يناير 2026، رغبةً في إتاحتها للقارئ العربي، ولا سيما للطلبة والباحثين المهتمين بتاريخ الفلسفة والفلسفة الإسلامية بوجه خاص. وتجدر الإشارة إلى أن لبيتر آدمسون مادةً أخرى تتناول كيفية التعامل مع نصوص تاريخ الفلسفة، وتحمل عنوان "All 20 "Rules for History of Philosophy.[2] وتُعدّ هذه المادة السابقة

[1] https://historyofphilosophy.net/podcast/hopwag-books.
[2] https://historyofphilosophy.net/podcast/blog/all-20-rules-history-philosophy

تمهيداً للمادة المترجمة هنا، ويعكس النصان معاً اهتمام آدمسون بالجانب المنهجي والعملي في قراءة النصوص الفلسفية والتاريخية والكتابة العلميّة فيها.

نص الترجمة

بعد أن أمضيتُ خمسةً وعشرين عاماً في تدريس تاريخ الفلسفة، أتيحت لي فرصٌ عديدة لتقديم التوجيهات ومراجعة أعمال الطلبة ومشروعاتهم الكتابية. وكثيراً ما أجد نفسي أكرر النصائح ذاتها، مما دفعني للتفكير في جدوى تدوينها ونشرها لجمهور أوسع. بطبيعة الحال، تُعد الكتابة الفلسفيّة فناً لا علماً، وتخضع هذه النقاط إلى حدٍّ ما لذائقة شخصية. وأنا أطلق عليها اسم "قواعد" بالمعنى نفسه الذي قصدته -بشيء من الدعابة- حين استخدمت هذا اللفظ في مقالتي السابقة "عشرون قاعدة للاشتغال بتاريخ الفلسفة،"[3] والتي ينطبق بعضها هنا. في الواقع، ستتداخل بعض النقاط مع ما ذكرته سابقًا، غير أن هذا التداخل لا يقلل من جدوى تكرارها؛ وعلى أي حال، فإن ما سأعرضه في هذه السلسلة سيكون موجَّهًا في المقام الأول نحو التطبيق العملي.

أودّ أن أشير أيضًا إلى أن هذه القواعد مُوجَّهةٌ بصفة أساسية نحو الكتابة في النصوص الفلسفية التاريخية، فهذا هو المجال الذي أملك الكفاءة للحديث عنه، وإن كان بعض ما سأقوله ينطبق بالتأكيد على الكتابة الفلسفية عمومًا، بل وحتى على الكتابة في العلوم الإنسانية بشكل أوسع. بيد أن بعض النقاط ستكون ذات نطاق أكثر تخصصيّة. وهذه القواعد هي عامة من جهة أخرى؛ إذ يمكن أن يستفيد منها طلبة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، بل وغير الطلاب أيضاً، فهي موجهة لكل من يسعى للكتابة عن تاريخ الفلسفة، سواء أكان ذلك ورقة بحثية قصيرة أم دراسة بحجم كتاب. وسينصبّ حديثي على الكتابة الأكاديمية تحديداً، لا على الكتابة الموجهة للجمهور العام؛ فرغم أن لدي ما أقوله في هذا الشأن أيضاً، وتنطبق عليه العديد من هذه النقاط، إلا أنه يظل مجالاً آخر.

وكما هو دأبي دائماً، فإنني أرحّب بالتعليقات والملاحظات التي يمكنكم إبداؤها في خانة التعليقات أسفل الصفحة.

[3] https://historyofphilosophy.net/podcast/blog/all-20-rules-history-philosophy

القاعدة الأولى: السؤال الأول هو — ما هو السؤال؟

ننتقل إلى قاعدتي الأولى: "السؤال الأول هو: ما هو السؤال؟" وهي عبارة أكررها كثيراً للطلبة في المراحل الأولى من الكتابة. يكمن المقصد هنا في أنّ الناس غالباً ما يكتفون بالبحث عن موضوع أو محور معين، وهذا منطقي كإطار أولي ومبدئي بقدر ما يرشدك إلى ما ينبغي قراءته من المصادر الأولية والدراسات الثانوية أثناء التفكير في مشروعك. لكن هذه ليست الطريقة الصحيحة لإنجاز مشروع الكتابة، لا سيما أثناء عملية الكتابة الفعليّة؛ فالتفكير في تقديم موضوع ما يدفعك إلى إعادة سرد ما يطرحه الفيلسوف في النص الأصلي، وكتابة تقرير حول كتاب، لا تُعد كتابةً في الفلسفة، إذ تحتاج في الحقيقة إلى البحث عن سؤال لتجيب عنه في نصك.

ينبغي ألا يكون السؤال صعباً جداً ولا سهل الإجابة، أو كما أقول للطلبة أحياناً: ينبغي أن تكون المسألة قابلة للمعالجة، لكن الإجابة عنها غير بديهية. قد يبدو هذا أمراً جلياً، لكنه في الواقع توازن يصعب تحقيقه؛ فأنت بحاجة إلى سؤال يتيح النص ما يكفي من العناصر لمعالجته، لكن من دون أن تكون الإجابة معطاة فيه بشكل مباشر وواضح. وغالباً ما تكون الطريقة المثلى للعثور على سؤال كهذا هي التنبّه إلى ما يستوقفك ويحيّرك أثناء القراءة، فالحيرة علامة جيدة، لأنها تعني أن ثمة شيئاً غير واضح يستلزم العمل عليه وإيضاحه للآخرين. وحين تشرع في الكتابة، ينبغي أن تسعى في البداية إلى جعل القارئ يشعر بالتوتر والحيرة نفسيهما اللذين واجهتهما، حتى يدرك أن سؤالك جيد وجدير بالنظر.

وكما ينبغي لك أن تميل نحو سؤال محدد النطاق نسبياً، ينبغي لك أيضاً أن تقترب من سؤال يصعب الإجابة عنه؛ لا يلزم أن تكون إجابتك "صحيحة على نحو قاطع،" وربما لا ينبغي أن يكون ذلك ما تطمح إليه، بل يكفي أن تكون مبررة بشكل جيد. وكما أقول للطلبة في أغلب الأحيان: "أنت لا تسعى بالضرورة إلى ما هو صحيح، بل ينبغي لك أن تسعى إلى ما هو معقول."

وبطبيعة الحال، ثمة أنواع كثيرة من الأسئلة التي يمكن توجيهها إلى النصوص التاريخية: كيف يرتبط شكل النص بمضمونه؟ كيف يستجيب العمل ويتفاعل مع الأعمال أخرى، سواء للمؤلف نفسه أم لمؤلفين آخرين، أو بسياقه التاريخي؟ ما الافتراضات الضمنيّة التي يقوم عليها النص، أو النتائج التي تترتب عليه دون تصريح؟ كيف تُبنى الحجة؟ وكيف يمكن للمفاهيم الفلسفية المعاصرة أن تجد تطبيقات لها في النص الذي تعمل عليه؟ وما المعنى الدقيق لهذا المصطلح؟ وما قلته آنفاً يعمّ هذه الأسئلة جميعها. إن كل سؤال تتمثل إجابته في تسليط الضوء على النص أو المؤلف أو الموضوع هو سؤال مشروع؛ فكل ما

عليك فعله هو أن تجعل القارئ يشعر بالحاجة ذاتها للحصول على الإجابة، ثم تقدم له إجابة مُرضية. هذه الإجابة هي "الأطروحة" التي تسعى إلى إثباتها. وطريقة أخرى للتفكير في هذه القاعدة هي النظر إلى أطروحتك باعتبارها إجابة عن سؤال صعب جداً، ولكنه ليس مستحيلاً.

القاعدة الثانية: اجعل الحجة الأضعف قويّة

قد تصدمك هذه القاعدة للوهلة الأولى، لما تحمله من صدى للاتهام الذي وُجّه للسوفسطائيين القدماء، الذين كانوا يسعون لجعل "الحجة الضعيفة أقوى." وهنا ثمة اختلاف جوهري بين "الأقوى" و"القوية،" وما أقصده هو: عندما تسعى إلى إثبات أطروحة معينة (ت)، ينبغي لك أن تفكر ملياً في الحجة المضادة لها (لا-ت)، وأن تصيغها في أقوى صورة ممكنة؛ حتى تتمكن من تفنيدها ودحضها.

وهذا يعيدنا إلى القاعدة الأولى التي تنص على البحث عن سؤال إجابته غير واضحة. وقد يرجع عدم الوضوح إلى تعدد الإجابات المحتملة؛ وفي هذه الحالة، لا يكفي أن تدعم إجابتك المفضلة فحسب، بل ينبغي عليك أيضاً إظهار عدم كفاية الإجابات الأخرى، أو تبيان أنها تنطوي على إشكاليات تجعلها أقل رجحاناً. وفي الوقت نفسه، ستواجه أطروحتك انتقادات وإشكاليات محتملة، وعليك التفكير بها ملياً؛ فبدلاً من التقليل من شأنها أو التغاضي عنها، ينبغي عليك العمل على صياغة أقوى حجة ممكنة لرفض أطروحتك أنت. وهذه عادة فكرية جيدة في الفلسفة عموماً: كلما حاججت دفاعًا عن الأطروحة (ت)، تخيّل الاعتراضات التي قد يطرحها خصمك، وحاول توقعها وبيان عدم سلامتها.

بيد أنه من الممكن الإفراط في هذا الأمر؛ ففي بعض الأبحاث الفلسفية -خاصة في الفلسفة التحليلية غير التاريخية، وكذلك في تاريخ الفلسفة- نجد تورطاً مفرطاً في معالجة الاعتراضات لدرجة تغفل فيها عن إقناع القارئ بالأطروحة ذاتها. لذا، عليك تجنب ذلك؛ فالهدف الأساسي هو الدفاع عن الأطروحة (ت)، أما الأفكار التي تطرح حول الحجة المضادة (لا-ت) وكيفية الرد عليها، فقد لا تجد لها طريقاً في الصورة النهائية للمقال. ومع ذلك، كلما كان فهمك أعمق لجانبي السؤال أو جوانبه المتعددة، تمكنت من عرض أفكارك والكتابة بشكل أفضل، لا سيما في الأبحاث الجامعية الأولى التي لا تسعى بالضرورة للدفاع عن وجهة نظر معينة. وتكمن الاستراتيجية الأمثل هنا في عرض وجهات النظر من كلا الجانبين، ثم محاولة حسم المسألة في النهاية استناداً إلى الحجة التي تبدو أقوى لصالح أحد الموقفين. وكثيراً ما أقول للطلبة: يمكنكم التفكير في البحث باعتباره مباراة تنس، حيث يتبادل الطرفان الحجة والحجة المضادة في نقاش فلسفي وتفسيري.

القاعدة الثالثة: ضيّق نطاق بحثك

لا يكاد يخلو كل نقاش أجريته مع طالب في بداية الدكتوراه من تنبيهي إلى أن المشروع المقدّم طموحٌ جداً وواسع النطاق، فغالباً ما يختار طلبة الدراسات العليا موضوعات لأطروحاتهم تبدو وكأنها مشاريع تتطلب مسيرة بحثية بأكملها، كأن يختار الطالب مثلاً: "مشكلة الإرادة الحرة من أرسطو إلى الفلسفة المدرسية في العصور الوسطى." لذا، أنصح الطلبة عادةً بالتركيز على 20% فقط مما اقترحوه من موضوعات، وتكمن مهمتهم الأولى في تحديد هذه النسبة بشكل دقيق ومناسب.

تنطبق هذه القاعدة أيضاً على جميع مستويات الكتابة الفلسفية؛ فكثيراً ما أدعو طلبة البكالوريوس عند كتابة ورقة بحثية من 12 إلى 15 صفحة، إلى اختيار فقرة واحدة فقط، أو حتى جملة واحدة من النص الأساسي، والتركيز على معالجة الإشكالات التي تطرحها (وهذه طريقة ناجعة لإيجاد "السؤال،" انظر القاعدة رقم 1).

من خلال تجربتي، يجد الطلبة هذه النصيحة محبطة أو مخيبة للآمال، وربما يجدون في أسلوبي التدريبي نوعاً من البحث الموغل في التفاصيل الدقيقة، وهو نهج يواجه انتقادات واسعة في الفلسفة المعاصرة. لكن الحقيقة هي أن دراسة الفلسفة وتاريخ الفلسفة قائمتان على التفكير الدقيق المتأني، حيث يتحقق التقدم فيهما غالباً بخطوات صغيرة جداً. أجد أن من الممتع قراءة نص يطرح سؤالاً محدداً ويقدم إجابة مقنعة، بدلاً من قراءة نص يتناول موضوعات شاسعة نوقشت مراراً، متجاهلاً التفاصيل التي تكمن فيها الصعوبة والإثارة الحقيقية. وعلى الرغم من وجود استثناءات، إلا أن هناك دائماً مفاضلة بين الاتساع والسطحية من جهة، والعمق والدقة من جهة أخرى؛ ولما كان الطلبة، بحسب تجربتي، يميلون إلى الإفراط في الاتساع على حساب العمق، فإنني أحثهم دائماً على ترجيح كفة العمق والدقة.

القاعدة الرابعة: الأولوية للنص موضوع الدراسة

تتداخل هذه القاعدة مع نقطة أثرتها في سلسلتي السابقة "عشرون قاعدة للاشتغال بتاريخ الفلسفة،" غير أنني سأؤكد عليها هنا لأهميتها البالغة. عند الكتابة في تاريخ الفلسفة، ينبغي التعمق في النصوص التاريخية (أو أي مادة أخرى قيد الدراسة، وإن كانت في الغالب نصاً). وهذا يعني تخصيص وقت أطول في قراءة النص -وإعادة قراءته مرات عدة- مقارنةً بما تقضيه في الاشتغال بالأدبيات الثانوية؛ ومما يثير الدهشة كيف يمكن لعمل ما أن يكشف عن أفكار جديدة في كل مرة تعيد قراءته. وبطبيعة الحال، تظل الأدبيات الثانوية مفيدة، لكن لا ينبغي الوقوع في فخ الانشغال بـ "الأدبيات من الدرجة

الثالثة،" حيث تتناول مؤرخي الفلسفة المعاصرين أكثر مما تكتب عن النص الأصلي. وحتى لو كان الهدف هو الرد على إحدى الدراسات الثانوية، فينبغي أن توضح دائماً أن المسعى هو فهم النص الأصلي، الذي يجب أن يظل حاضراً في ذهنك.

وثمة إشكالية تطرح نفسها هنا، سواء للطلبة أم للأكاديميين المتمرسين، وهي كيفية إظهار أنك قد "أتممت واجبك" وقرأت جميع الأدبيات الثانوية (وللأسف يُكثر محكّمو المجلات من الشكوى بشأن غياب عدد من المراجع... وبخاصة تلك التي كتبوها بأنفسهم!). وثمة عادة أوروبية قديمة تتمثل في إعداد "استعراض للأدبيات السابقة" حول موضوع معين. وكما يمكنك أن تتخيل في ضوء ما قلته في القواعد الثلاث الأولى، فإنني لا أستحسن هذه الطريقة لأنها تحول دون الانتقال المباشر إلى طرح السؤال وجذب انتباه القارئ لأهميته. قد تكون مراجعة الأدبيات تمريناً مفيداً تكتبه لنفسك، لكنني أرى أنه لا ينبغي إدراجها في عمل يتناول الفلسفة. (تُعد مراجعة الأدبيات مطلباً إلزامياً أحياناً في رسائل الدكتوراه، لكن حتى في هذه الحالة لا ينبغي أن تظهر في العمل عند نشره). ولا يزال يدهشني أن أجد دراسات بحثيّة (أو مونوغرافيات) منشورة تبدأ بهذه التمارين التي تشبه الواجبات المدرسية.

وعلى أي حال، من الخطأ التفكير في الأدبيات الثانوية بهذه الطريقة: "هذا ما قاله الآخرون، لننتقل الآن إلى ما أريد قوله." بل ينبغي بدلاً من ذلك بيان الأفكار التفسيرية التي قدمها الباحثون الآخرون ودمجها في كتابتك بطريقة مثمرة وسلسة. استثمر الأفكار الواردة في الأدبيات الثانوية باعتبارها ركائز تستند إليها في بنية دراستك، تمنحها شكلها وثباتها، أو باستعارة أخرى، بوصفها دفعات صغيرة تدفع الحجة إلى الأمام. وإذا كانت رغبتك هي تأكيد اطلاعك على هذه الأعمال أمام القارئ، فاكتفِ بالإشارة إليها في الحواشي بقولك: "في هذا الموضوع، انظر أيضاً: سميث (2020)".

وحين تنخرط في الأدبيات الثانوية بصورة أكثر فاعلية، أوصي بالتعامل معها بطريقة إيجابية في معظم الأحيان: بتقدير جهود الآخرين والبناء على أفكارهم، بدلاً من التركيز على مواطن الخلل. أتضايق حقاً حين يقوم الفلاسفة بدور من يتصيد الأخطاء، أو يتعمدون انتقاد الباحثين الآخرين؛ فنحن جميعاً في نهاية المطاف منخرطون في مسعى جماعي لفهم النصوص، ومن المفترض أن كل واحد منا يبذل قصارى جهده. وبالطبع، قد تضطر أحياناً إلى بيان موقفك المخالف، إلا أن ذلك ينبغي أن يكون بأسلوب مهذب وإيجابي، مثل: "يشير سميث (2020) إلى ملاحظة وجيهة بتأكيده على (X) ، غير أنّه

كان يمكنه الإشارة أيضاً إلى أن...". أما إن كنت تعتقد أن سميث (2020) لم يُسهم بأي إضافة حقيقية تفيد النقاش، فالأفضل عدم ذكره من الأساس.

وتجدر الإشارة إلى تحفظ على ما سبق، وهو أنك حين تمارس البحث الجاد -ربما خلال مرحلة الدكتوراه أو الماجستير- فأنت تحت ضغط لإثبات أن ما تقوله جديد. وهذا يعني فعلاً أنك مُلزَم بإيصال فكرة أنك اطلعت على سائر الدراسات وحددت ما يمكنك إضافته إليها. لكن حتى ضمن هذا السياق، الطريقة الأفضل ليست في مراجعة الأدبيات، بل بالإشارة إلى الدراسات الأكثر ارتباطاً وقرباً في سياق الكتابة والتفاعل معها بسلاسة؛ فهذا سيظهر إلمامك بالموضوع وموقع عملك بين هذه الدراسات أمام القارئ.

وثمة أيضاً فنٌّ في استخدام النص الأصلي وتقديمه بأسلوب أنيق وفعّال، وهذا ما سأتناوله في القاعدة التالية.

القاعدة الخامسة: استخدم الاقتباسات بحكمة

أسعى في أبحاثي المنشورة إلى خلق نوع من الإيقاع البصري في الصفحة من خلال "الاقتباسات المفصولة عن المتن في فقرات مستقلة؛" وهي مقاطع مقتبسة من النصوص الأصلية التي أتناولها، تتخلل الكتابة كل فقرتين تقريباً. وهذه هي إحدى الطرق التي أتصور بها عملية الكتابة، حيث أصطحب القارئ من اقتباس إلى آخر، موضحاً له كيف تنتظم هذه المقاطع ضمن سياق حجة متكاملة (أجيب من خلالها عن السؤال الجوهري الذي يحرك النص بأكمله، انظر القاعدة الأولى). ويمكن اعتبار هذا بمثابة جولة إرشادية في النص الأصلي، نبرز فيها مقاطع مهمة ومثيرة للاهتمام ونقدمها ضمن منظور جديد.

وأقصد بـ "المنظور الجديد" أنك تفترض غالباً أن القارئ قد اطلع على النص الأصلي وقرأه بعناية، رغم أن هذا ليس هو الحال دائماً؛ ففي أعمالي حول الفلسفة الإسلامية، كتبت أحياناً عن نصوص لم تُترجم بعد، أو لم تُحقق (أي لا يمكن الوصول إليها إلا عبر المخطوط)، أو أنها لم يتم تناولها في الدراسات المكتوبة باللغات الأوروبية. وهذا يستدعي قدراً أكبر من الشرح والتوضيح لعدم دراية القارئ بمحتوى النص. ومع ذلك، أحاول جاهداً ألا أقع في فخ الاكتفاء بإعادة صياغة ما يقوله المصدر؛ بل أسعى إلى تقديم موقف المؤلف وحججه، مع الإشارة إلى ما يثير الاهتمام فيها.

وعلى أية حال، فإن مؤرخي الفلسفة ومعظم الطلبة يتناولون نصوصاً يعرفها القارئ جيداً. (إن كنت طالباً، تذكر أن أستاذك هو من سيقرأ نصك، لذا احرص على الكتابة واضعاً ذلك في ذهنك!) واجعل

هدفك لا يقتصر على إخبار القارئ بمحتوى النص، بل تقديم ملاحظات لافتة ومثيرة للجدل ومدعومة بحجج قوية حوله.

وبالمثل، وهذا ما يزعجني حقاً: لا تقتبس من النص الأصلي ثم تكتفي بتلخيص ما يتضمنه المقطع الذي اقتبسته للتو. فما لم يكن النص غامضاً بشكل استثنائي (نصوص كانط مثلاً)، يجب أن تفترض أن القارئ قادر على قراءة الاقتباس وفهمه. لذا، ابدأ تعليقك بعد الاقتباس بملاحظة جوهرية ومثيرة للاهتمام، لا بإعادة صياغة للنص؛ فهذا هو المبرر لاستخدامك للاقتباس، إذ لابد من وجود سبب لعرضه على القارئ حتى وإن كان قد قرأه سابقاً. وفي أغلب الأحيان، يكون السبب إما استخدامه دليلاً على ادعاء لديك حول النص، أو -وهو الأفضل- إبراز خصيصة قد تغيب عن الأنظار بسهولة؛ كأن تنبه القارئ إلى الألفاظ المستخدمة، أو طريقة بناء الحجة، أو صياغة الفكرة. وبالمقابل، إن لم يكن لديك ما تضيفه حول فقرة معينة، فمن الأفضل ألا تقتبسها من الأساس. وبطبيعة الحال، ينبغي أن يسهم ما تطرحه من ملاحظات في دعم حجتك الرئيسية في المقالة.

القاعدة السادسة: استخدم بنية "الدمية الروسية"

تتسم معظم الكتابات الفلسفية ببنية تقوم على العلاقة بين الجزء والكل، تؤدي فيها الأجزاء المختلفة أدواراً متباينة في خدمة الحجة الكلية. فإذا عدنا إلى فكرة أن الإجابة عن سؤالك هي الأطروحة (ت)، والتي ينبغي أن تكون النتيجة الكلية للبحث، فإن هذه الأدوار تتحدد بكيفية إسهامها في إثبات (ت).

ومن النصائح الشائعة هنا، التي أؤيدها تماماً، وضعُ مخطط تفصيلي للهيكل، ليس فقط في ذهنك بل مكتوباً أيضاً، قبل الشروع في الكتابة. فحين أكتب، سواء كان ذلك لأغراض البحث أم للبودكاست، أعتمد على مجموعة من الملاحظات، وآخر ما أفعله قبل البدء هو إعداد مخطط يتضمن قوائم بجميع المقاطع (من الأدبيات الأولية والثانوية) التي سأستشهد بها في كل جزء. عندها يمكنني التنقل بسهولة بين ملاحظاتي للوصول إلى الأجزاء ذات الصلة أثناء الكتابة، فلا أضطر إلى قطع الكتابة للبحث عن مقطع أريد الاستشهاد به.

لكن النقطة الأساسية التي أود توضيحها بخصوص هذه القاعدة هي أن يتخذ مخططك بنية "الدمية الروسية،" حيث تتضمن الأجزاء الكبيرة أجزاءً أصغر. وينطبق هذا بغض النظر عن حجم النص، سواء أكان كتاباً أم ورقة بحثية من خمس صفحات. والفارق هو أن النصوص الطويلة تتضمن أجزاءً أطول وطبقات أكثر من الأجزاء الفرعية. فإذا كان العمل كتاباً مثلاً، فإن الأجزاء ستتكون من

فصول تحتوي على أقسام، وهذه الأقسام تحتوي بدورها على أقسام فرعية، تتألف من فقرات، تتكون من جمل. وإذا نظرنا إلى هذا التسلسل من أصغر وحداته إلى أكبرها، ينبغي أن تكون لكل جملة وظيفة واضحة ضمن الفقرة، ويجب أن تُسهم كل فقرة إسهاماً جلياً في غرض القسم الفرعي، وهكذا دواليك.

يمكن تشبيه النص بآلة ذات أجزاء وأجزاء فرعية؛ فأنت لن تصنع آلة تحتوي على أجزاء لا تؤدي أي وظيفة في تشغيل الآلة ككل.

والمقصود بكل هذا هو مساعدة القارئ على تتبع مسار حجتك دائماً. ومن الأفضل ألا توجد جملة واحدة يضطر عندها القارئ إلى التساؤل عن سبب وجودها؛ إذ ينبغي توجيهه من خلال البنية الكلية للمقال، التي تشبه خريطة واضحة المعالم يمكن تتبع مساراتها بسهولة.

القاعدة السابعة: انتبه للفجوات

لم أتطرق بعدُ بشكلٍ كافٍ إلى الكتابة الفعلية، بمعنى تأليف وربط الجمل؛ إذ ليس هذا هو المقام المناسب لذلك، كما أنني لستُ الشخص الأنسب لتقديم نصائح حول كيفية الكتابة بأسلوب جيد. لكن لديَّ اقتراح واحد قد يكون وثيق الصلة بالفلسفة تحديداً: التركيز على الانتقال من قسم إلى آخر، ومن فقرة إلى أخرى، ومن جملة إلى أخرى.

يتماشى هذا الأمر مع القاعدة السابقة المتعلقة بضرورة وجود بنية كلية واضحة للقارئ. ويمكنك استخدام إشارات نصية بسيطة لتوجيهه عبر هذه البنية؛ بحيث ينساب النص بسهولة. ومن الأفضل أن يشعر القارئ وكأن النص يقود القارئ بنفسه، لشدة سلاسة تقدمه.

أعتقد أن كتابة "البودكاست" جعلتني أتنبّه لهذا الأمر بصفة خاصة؛ إذ إنك حين تكتب لمستمع لا لقارئ، تحتاج فعلاً إلى جعل الأمور سهلة المتابعة. لذا تحمل كل جملة أكتبها تقريباً سمةً ما، عادةً ما تكون صغيرة، تُشير إلى كيفية ارتباط كل جملة بما قبلها أو ما بعدها. إليك مثالاً مختاراً بشكل عشوائي من نص حديث، مع تمييز إشارات الربط بالخط العريض:

> "**لكن** دعونا لا نتعجل، لأنه بعد أن تطرقنا إلى **مقال في المنهج**، لم نعلم عن حياة ديكارت أكثر مما أراد هو إخبارنا به، وهو شيء لا يكاد يُذكر. ولحسن الحظ لدينا مصادر أخرى. وكان ثمة **آخرون** ممن كتبوا سيراً مبكرة لديكارت، ومن أبرزهم أدريان بايي (Adrien Baillet)، مؤلف **سيرة السيد ديكارت** الصادرة عام 1691، أي بعد 41 عاماً من وفاة ديكارت. **ثم وبطبيعة الحال** هناك الرسائل. وتأتي **هنا** مراسلاته مع مرسين (Mersenne) في المقدمة، غير أن لدينا أيضاً مراسلات جرت بين ديكارت وعدد كبير من الشخصيات الأخرى. وتتيح لنا هذه **المصادر** إعادة بناء قصة حياته بقدر من التفصيل. وأعني

بقولي "لنا" بالطبع أشخاصاً آخرين، كجينيفيف روديس-لويس (Geneviève Rodis-Lewis) وستيفن گوكروغر (Stephen Gaukroger)، اللذين أفدْت كثيراً من السيرتين الحديثتين اللتين كتباهما عن ديكارت للاستناد إليه في هذه الحلقة."

وهذا ليس بالأمر المعقد، ولكنه مقطع نموذجي؛ فكل جملة فيه تتضمن على الأقل كلمة واحدة تربطها بالجملة السابقة.

أحرص أيضاً على كتابة الفقرات بحيث تُشير بدايتها أو نهايتها إلى كونها وحدة نصية مستقلة (في المثال أعلاه، يتحقق ذلك من خلال العبارة الأولى "لكن دعونا لا نتعجل،" التي تربط النص بما سبق، وتُحدث فاصلاً عنه في الوقت نفسه). ومع أن فواصل الفقرات غير مرئية في البودكاست، إلا أنني أحرص على كتابتها (ثم قراءتها) بطريقة تجعلك تشعر بوجودها؛ وهذا ما ينبغي مراعاته في أي كتابة فلسفية.

وينطبق الأمر نفسه على الانتقال بين أقسام البحث. وكما هو الحال في سائر أساليب الانتقال، يمكن أن يتم ذلك بدرجات متفاوتة من السلاسة. فانتقال صريح ومباشر من قبيل "بعد مناقشة (س)، سأنتقل الآن لمناقشة (ص)" أفضل من لا شيء، لكن بقدر محدود فحسب. وما تريده حقاً هو أن تختتم كل قسم من أقسام المقال (سواء أكان يحمل عنواناً فرعياً أم لا) بانتقال يُوحي بكيفية ارتباط القسم التالي معه بصورة طبيعية.

بل أذهب إلى أبعد من ذلك فأقول إن الانتقال هو أهم عنصر أسلوبي يجب مراعاته حين الكتابة عن الفلسفة: فهو لا يجعل القراءة أيسر وحسب، بل يتيح للقارئ أيضاً متابعة منطق الحجة خطوةً بخطوة. وبهذا المعنى، هو السمة الأبرز على مستوى الجملة التي تُعينك على الالتزام بالقواعد المذكورة سابقاً.

القاعدة الثامنة: الثبات على الهدف

على الرغم من أن هذه القاعدة حاضرة ضمناً في بعض القواعد الأخرى، إلا أنني أود استحضار نصيحة ذلك الطيار على متن مقاتلة "إكس-وينغ" التي تتمثل في "الثبات على الهدف" أثناء عملية الكتابة. فكل قسم من أقسام المقال، بل كل جملة فيه، يجب أن تُسهم بطريقة أو بأخرى في خدمة هدف مشروعك الكلي، وهو -كما تعلم- الإجابة عن سؤالك البحثي الأساسي. وكما سنرى في القاعدة العاشرة، قد تكون الخاتمة استثناءً جزئياً لهذا المبدأ، لكنه يظل سارياً على جميع أجزاء المقال الأخرى.

ورغم بساطة هذا المبدأ ظاهرياً، إلا أنه ينطوي على إشكاليات؛ فهناك أسباب عديدة قد تدفعك لكتابة أمور لا صلة لها بالموضوع. فاعتبارات عملية قد تضطرك للاستشهاد بمصدر ثانوي من الأدبيات لتُثبت اطلاعك عليه (راجع القاعدة الرابعة)، أو قد تلوح لك فكرة ملهمة أثناء الكتابة فترغب في إدراجها رغم عدم ملاءمتها للسياق؛ فما العمل إذن؟

الحل الأول: يأتي هنا الدور المناسب للحواشي. إذ لا تسري قاعدة "الثبات على الهدف" بصرامة داخل الحواشي؛ فحين تضع شيئاً ما في الحاشية، فأنت تُخرجه فعلياً من سياق الحجة الرئيسي، وكأنك تُشير للقارئ إلى أن قراءتها ليست لازمة لمتابعة الحجاج. ولهذا السبب ذكرتُ في القاعدة الرابعة أنه يمكنك إظهار إلمامك بالمراجع والأدبيات ذات الصلة من خلال الإشارة إليها في الحواشي. ومع ذلك، لا تفرط في ذلك؛ فلا أحد يرغب في قراءة مقال يقع نصف عدد كلماته في الحواشي، لأن ذلك يُشتت الانتباه ويُضعف الإحساس بتركيز المقال وتوجهه نحو هدف واضح.

الحل الثاني: يمكنك التساهل قليلاً مع هذه القاعدة من خلال الإشارة صراحةً إلى مسألة ما باعتبارها قضية عارضة، كأن تضعها بين قوسين أو تقول: "تجدر الإشارة هنا إلى أن..." تنص القاعدة في الأصل على تجنب هذا الأمر، وعند الشك يجدر بك عدم القيام به تماماً. ولكن يمكنك اللجوء إليه أحياناً، طالما لا يُعيق ذلك تقدّم الحُجّة. وكما هو الحال مع القواعد الأخرى، فإن الهدف هو إيصال الفكرة بوضوح للقارئ؛ فإذا أوضحت بقولك: "هذا لا يُسهم مباشرة في المشروع، لكنه يستحق الإشارة إليه في هذا السياق،" فإن ذلك يمنحك قدراً من المشروعية (ما دام الأمر مثيراً للاهتمام بالفعل). لكن ينبغي القيام بذلك باعتدال، وأن تكون على درجة عالية من الثقة فيما تكتب؛ إذ هي خطوة "متقدمة" يمكنك القيام بها عندما تكون باقي أجزاء النص تحت سيطرتك الكاملة.

يترتب على ذلك أيضاً أنك ستواجه غالباً مشكلة معاكسة، وهي عندما تكون لديك مسألة ذات ارتباط وثيق وجديرة بالاهتمام، لكنها كبيرة أو معقدة للغاية وتتجاوز حدود المساحة والوقت والكفاءة وما إلى ذلك. وما قلته آنفاً ينطبق هنا أيضاً: يُسمح لك بإخبار القارئ بأن مسألةً ما وثيقة الصلة ومهمة من حيث المبدأ، لكن يتعذر تناولها في هذا المقال. وهذه الطريقة أفضل من تجاهل الأمر تماماً، لأن القارئ قد يلحظ غيابها. والتحفظ الوحيد هنا هو ضرورة فعل ذلك باعتدال شديد؛ ففي بحث دراسي من خمس عشرة صفحة مثلاً، لا أودّ أن ينبّه الطالب إلى مسألة ذات صلة وثيقة بالبحث، ثم يتركها

دون معالجة، وأن يتكرر منه ذلك أكثر من مرة أو مرتين. وإذا شعرت بحاجتك إلى فعل ذلك في مواضع متعددة، فهذه إشارة على الأرجح إلى أن سؤالك الأساسي ذو أبعاد واسعة جداً.

القاعدة التاسعة: راجع المقالة، ثم راجعها، ثم راجعها مرة أخرى

مهما بلغت خبرتك في الكتابة، فإن مسودتك الأولى ستحتاج على الأرجح الشديد إلى قدر كبير من العمل قبل أن تصبح جاهزة للعرض. فمن ناحية، من المحتمل أنك خالفت بعضاً من "هذه القواعد" في مسودتك الأولى، كأن تُخفق في استخدام عبارات انتقالية جيدة، أو تُدرج نقاطاً غير ذات صلة أو لم يتبيّن صلتها بموضوع البحث بما يكفي. لكن الأمر يتعلق أيضاً بجودة الكتابة ذاتها؛ إذ ينبغي عليك أن تتعامل مع كل جملة على أنها مجرد محاولة أولى للتعبير عما تريد قوله، ومن غير المرجح أن تكون قد أتقنتها تماماً من المرة الأولى! لذا، افترض ببساطة أن كل جملة ستحتاج إلى تعديل، واعتبرها "مذنبة" حتى تثبت براءتها.

عند مراجعة كتاباتي، أحرص دائماً على جعلها أكثر إيجازاً، وكثيراً ما أقوم بحذف 10% أو أكثر من الكلمات، رغم أنني أعتمد أسلوباً موجزاً في الكتابة بالأصل. وحين يتعلق الأمر بأعمال الطلبة، أشعر في أغلب الأحيان أنها يمكن أن تكون أقصر مع الحفاظ على الأفكار ذاتها؛ إذ ينبغي أن تكون معظم الجمل قصيرة وقويّة، كهذه. ويمكنك استعمال جمل طويلة أحياناً لإضفاء نوع من التنوع، لكن ينبغي أن تكون قليلة؛ فإذا كانت جملك طويلة، قسّمها ليسهل قراءتها (وفي حقيقة الأمر، حين قمت بمراجعة هذه الفقرة، قسّمت الجملة الأولى فيها إلى جملتين). أعتقد أن هذه نصيحة جيدة بشكل عام، ولكنها ذات أهمية خاصة عند الكتابة في الفلسفة باللغة الإنجليزية، لأننا نميل إلى تقدير الأسلوب الدقيق والموجز بفضل هيمنة الفلسفة التحليلية (بالطبع، هذا لا ينطبق كثيراً على الكتابة الأكاديمية بالألمانية).

وعلى أي حال، رسالتي الأساسية هنا هي أن المراجعة جزء لا يتجزأ من عملية الكتابة، ويجب تخصيص وقت كافٍ لها. ومن الأفضل مراجعة النص أكثر من مرة، وهذا لا يعني مجرد البحث عن الأخطاء المطبعية واللغوية، بل إعادة الصياغة والتنقيح الفعلي أثناء المراجعة.

وقد تساعدك هذه النصيحة أيضاً عند كتابة المسودة الأولى؛ لأنك إن كنت تعلم أنك ستراجع المقالة مرات أخرى، فستشعر بضغط أقل لجعلها تبدو كاملة ومثالية من المرة الأولى. ابدأ بكتابة شيء على الصفحة، ويمكنك صقله وإعادة كتابته لاحقاً.

ثمة نصيحة أخيرة هنا: إن من الأساليب الجيدة للمراجعة قراءة ما تكتبه بصوت عالٍ لنفسك. قد يبدو هذا غريباً، ولكنه طريقة رائعة لاكتشاف الجمل الضعيفة أو الطويلة جداً وغيرها من العثرات؛ لأن "أذنك" ستُخبرك عندما تكون الصياغة غير موفَّقة أو معقدة أكثر مما ينبغي.

القاعدة العاشرة: اختتم بفتح أفق جديد

بعد أن انتهيت من كتابة مقالٍ مُركّزٍ بدقة حول تاريخ الفلسفة، مع انتقالات سلسة تُعين القارئ على تتبع الحجة، وبعد أن طرحت سؤالاً مثيراً للاهتمام، ليس أوسع مما ينبغي، بل سؤالاً يمكن الإجابة عليه بطريقة معقولة- ودعمت هذه الإجابة بحجج مقنعة، والتزمت بالموضوع طوال البحث مرتكزاً بشكل أساسي على النصوص الأصلية؛ تهانيّ لك! لم يتبقَ أمامك الآن سوى مهمة واحدة: كتابة الخاتمة.

كثيراً ما يُنصح الكتّاب المبتدئون بكتابة مقدمةٍ تثير اهتمام القارئ وتمهد الطريق لصياغة الأطروحة الرئيسية. وهي نصيحة جيدة طالما أنها لا تبدو آليةً. (وبالمناسبة، أرجوك ألا تبدأ مقالتك بعبارة "لطالما تساءل البشر منذ فجر التاريخ..." ولا تستهلّها باقتباس من معجم. بل ابدأ من اللحظة الأولى بتطوير حجتك؛ فمعظم أعمال الطلبة تظهر بشكل أفضل بمجرد حذف الجملة الأولى أو حتى الفقرة الأولى، لكونها عامةً جداً في أغلب الأحيان).

كما يُنصح المبتدئون في الخاتمة بتلخيص ما ورد في المقالة لضمان فهم القارئ للفكرة. وربما تكون هذه نصيحة مفيدة للمبتدئين حقاً، ولكن بما أنني أتحدث هنا إلى كتّاب في المرحلة الجامعية على أقل تقدير، فإنني لا أنصح بهذا التوجه؛ فإذا وصلت إلى الخاتمة وما تزال بحاجة إلى توضيح حجتك للقارئ، فهذا يعني أن هناك خللاً ما. ولكن، ما الذي ينبغي عليك فعله بدلاً من ذلك؟

نصيحتي هي أن "تختتم بفتح أفق جديد،" بمعنى أن تفتح في خاتمتك آفاقاً جديدة لما كنت تتحدث عنه. يمكن لهذا أن يُمثّل نتيجة أخرى تترتب على أطروحتك، أو قد يُشكّل اعتراضاً محتملاً عليها - اعتراضاً عميقاً يصعب الرد عليه في سياق المقال- أو ربما يطرح تشابهاً مثيراً للاهتمام مع مسألة أو نص أو مؤلف آخر. ومهما كانت المسألة، فالفكرة الأساسية هي أن مقالتك قد حققت الهدف الذي سعت إليه، وعليه يمكنك أن تقدم للقارئ "فكرةً إضافية" في الخاتمة، على أن تكون راسخةً في صلب مقالتك بطبيعة الحال؛ فلا تبدو مقحمة على المقال أو منقطعة الصلة به. ومع هذا القيد، تُعدّ الخاتمة فرصتك الأخيرة لإبهار القارئ، وإقناعه بمنحك درجة أفضل... وربما تركه متشوّقاً للمزيد.

.

تابع أنشطتنا

اتصل بنا

كل الحقوق محفوظة ©